سوريا وجيجك: دليك المستخدم إلى الحرب الأهلية

يزن الحاج*

لم يسبق لمقال، منذ اندلاع الانتفاضة السوريّة، أن أثار جدالاً كالذي تسبّب به مقال الفيلسوف السلوفينيّ سلافوي جيجك: «سوريا: صراع زائف» (نُشر بالإنكليزية في «ذي غارديان»، ونُشرت ترجمته العربيّة في «السفير العربي»). المثير في الأمر هو أن الهجوم لم يكن مصوَّباً باتجاه أفكار المقال، بل إلى كاتبه، أو بالأحرى إلى يساريّة كاتبه. وقد تفاوت الهجوم بين وضع جيجك في خانة «اليسار الغربيّ المعادي للثورة السورية»، أو اتهامه بكونه «جاهلاً بظروف وتطورات الثورة»، أو اعتبار المقال وكأنه لم يكن، إذ «ما الذي يمكن توقّعه ممن يضع جواربه في أدراج مطبخه؟»، على حد تعبير أحد أشرس من هاجموا المقال. بعيداً عن جوارب جيجك، كانت الجملة التي أثارت حفيظة معظم المعارضة السورية، هي: «لا تحتاج إلى أن تكون خبير طقس لتعرف اتجاه الرياح. واتجاه الرياح في سوريا واضح: أفغانستان». بدايةً، لا بد من الإشارة إلى أن أفكار جيجك، بخصوص «الربيع العربيّ»، لم تتغيّر منذ عام 2012، حين نشر كتابه «عام الأحلام الخطرة»، وبالتحديد الفصل المعنون «الشتاء، الربيع، الصيف، والخريف العربيّ» (كُتب الفصل أواخر عام 2011). إذ قارب فيه ظاهرة الانتفاضات العربية ضمن سياق «الثورة العالمية» الممتدة من لندن ونيويورك إلى سيدي بوزيد وميدان التحرير. وبرغم أن أفكار جيجك السياسية وطروحاته بشأن «الربيع العربيّ» لا تصل إلى مستوى تنظيراته الفلسفية، أو عمق تحليلاته لمسائل سياسية واقتصادية أخرى، كالأزمة المالية العالمية، أو قانون الرعاية الصحية الأميركي، أو حتى القضية الفلسطينية ونقد الصهيونية، إلا أن النقطة الجوهرية التي تشغله دوماً، بعيداً عن صخب الابتهاج بالثورات والاحتجاجات والتظاهرات، هي سؤال: «ماذا بعد؟» (سواء كان ذلك في حركة «احتلوا وول ستريت» أو الانتفاضة المصرية اللتين أُجهضتا بدرجةٍ ما). وبصرف النظر عن محاولته المتواضعة لنبش جذرٍ تاريخيّ للانتفاضات العربية في ثورتي الزنج والقرامطة، إلا أن النقطة الأهم، والأكثر دقة، كانت في إحالته إلى لحظة أكثر قرباً، جغرافياً وتاريخياً وتشابهاً يكاد يبلغ حد التطابق؛ أي الاحتجاجات الإيرانية عام 2009. وبرغم أن هذه الإحالة لن تسرّ محبّي إيران أو كارهيها، إلا أن المقارنة هنا دقيقة، ومرتبطة بمسألة «رَدْكَلَة الصراع» التي أشار إليها في مقاله الأخير، أي تعميق البعدين الاقتصادي والاجتماعي للانتفاضات، دون الاقتصار على الركض وراء «الحرية والديمقراطية».

وبالطبع، وكما يمكننا أن نتوقّع، تجاهل المعارضون جميع أفكار المقال، ليقتصر هجومهم على قضية «أفغنة سوريا». ولكن، وللمفارقة، بدأ هؤلاء أنفسهم منذ نشر المقال بكتابة مقالات وإطلاق تصريحات فايسبوكية تصبّ في نفس الاتجاه الذي أشار إليه جيجك، وشنّوا هجوماً غير مسبوق على «داعش» وأصوليّتها، بل وصل الأمر، عند البعض، إلى وضع مزدوجين عند الإشارة إلى مناطق سيطرة «داعش» (أي «المناطق المحرَّرة»)، الأمر الذي كان، إلى وقت قريب، مدعاةً للتّخوين منهم بالذات ضد كل من «يتجرأ» على التشكيك أو التساؤل فيما إذا كانت تلك المناطق محرَّرة أم لا.

قد يبدو الأمر، للوهلة الأولى، وكأنه «توبة» أو «ردّة» لمن كانوا حتى الأمس يسوّقون للطائفيّة ذاتها التي تتعامل بها «داعش»، وإن بأسلوب «علميّ ومعرفيّ» أو بأسلوب «البورتريهاتُ الثوريّة». ولكن الأمور ليست كما تبدو عليه حقيقةً، إذ إن الغاية الفعلية من هذا الهجوم

الغاية الفعلية من هذا الهجوم كانت بهدف التمييز بين «السلفيّة الأجنبية» و«السلفيّة السورية» (أ ف ب)

تركيا والمواجهات اللامحدودة

هدى رزق*

تتراكم المشاكل الخارجية والداخلية في وجه رجب طيب أردوغان منذ الزيارة الأخيرة التي قام بها إلى الولايات المتحدة الأميركية في 21 نيسان/ أبريل 2013. طالب خلالها الرئيس باراك أوباما بالتدخل المباشر في سوريا. لا سيّما أن «تركيا العدالة والتنمية» أمعنت في محاولات التحكم في شأن الحكم في سوريا، فدعمت وشاركت في التدريب والتسليح لكن دون احراز تقدم. كذلك شجعت مخابراتها وسهلت دخول المتطرفين من «النصرة» و«القاعدة» من مختلف دول العالم، لا سيما من دول الاتحاد الروسي الاسلامية كداغستان والشيشان عن طريق الحدود السورية ـ التركية، وتعاونت مع قطر في ذلك. إذ سمحت بتدفق الأموال الخليجية عبر حدودها، وحاولت اسكات معارضة الداخل التركي، التي طالبت بتحييد بلادها عن الصراع على سوريا.

اتهم أردوغان المعارضة في بلاده بالعمالة للأسد على قاعدة مذهبية وكيدية، وبالرغم من التظاهرات المعارضة لهذه السياسة أصم أردوغان أذنيه بانتظار نجاح تحقيق مشروع العثمنة الذي خطّط له عبر تولي الإخوان المسلمين السلطة في مجمل العالم العربي. جاءته الضربة القاصمة من مصر وأسقط صمود سوريا هذا الحلم، الذي لم يكن حلماً تركياً فقط إنما مشروعاً أميركياً أيضاً من أجل ضبط المنطقة العربية والتفرغ للصين، التي تعاظم دورها الاقتصادي. فكان لا بد من تهيئة الجو المناسب لمدّ «الاسلام المعتدل» إلى معقل الكونفوشيوسية من أجل خلق التناقضات والانشقاقات ومنع روسيا الاتحادية من انجاز وحدتها عبر الهائها بإسلام قاعدي يضرب في جمهورياتها.

قد تكون تطاهرات «تقسيم» هي إحدى محطات معارضة سياسة أردوغان في الداخل، حيث ينوي تحويل النظام إلى رئاسي بعد أن ضرب سلطة العسكر تحت شعار بسط الديمقراطية. أما التراجع غير المعلن عن وعود قطعها للأكراد باقرار حقوق طالبوه بها بعد فتح حوار معهم في بدايات عام 2013 اثر واسطة الأميركيين، فأظهرت خوفه من القوميين الأتراك من جهة، كما الحذر من استقلالية كردية تضرب وحدة تركيا. جابه التظاهرات، التي دعت إلى اسقاطه بالعنف والقول إنّه منتخب ديمقراطياً. وبينما كان حزب العمال الكردستاني قد بدأ في آذار/ مارس 2013 تنفيذ انسحاب عسكري من تركيا باتجاه كردستان العراق، ووعد باتمامه في شهر آب

> اتهم أردوغان المعارضة في بلاده بالعمالة للأسد على قاعدة مذهبية وكيدية

من العام نفسه مقابل طرح أردوغان حقوقهم في البرلمان، واقرارها مع الانسحاب الذي كان مقرراً، تم ايقاف الانسحاب ومطالبته بوعود قطعها. جاءت الخيبة كبيرة عندما أعلن هذا الشهر بعض الاصلاحات الهشة، والتي تقتصر على السماح لهم بتعليم اللغة الكردية في المدارس الكردية الخاصة وليس الرسمية. ولم يتطرق إلى اطلاق سراح عبد الله أوجلان، زعيم حزب العمال الكردستاني وسواه من الوعود. قد تكون المشكلة الكردية من أهم مشاكله، لا سيما أنهم على حدوده في سوريا يتلقون ضربات المعارضة السورية المدعومة من تركيا. ولمنعهم من تشكيل حيّز كردي مستقل، تقوم المخابرات التركية بدعم «النصرة» و«داعش» بعد محاولتها السيطرة، وإن كانت هذه الأخيرة لا تتوافق سياسياً مع تركيا، التي تدعم الجيش الحر. لكن الرهان التركي على ضرب أكراد سوريا يهدف إلى محاربة فكرة استقلالهم المنشود، الذي يصبّ ضد المصلحة التركية من جهة، وابقاء نار الحرب شاعلة في الشمال عبر السماح بتسليح «داعش» من جهة أخرى، كونها ورقة يمكنها بيعها والمساومة عليها مع خصومها ومع حلفائها الأميركيين، لا سيما بعد شعورها بالخسارة.

لم يخفِ أردوغان امتعاضه في قمة آسيا ـ الباسفيك من وزير الخارجية الأميركية جون كيري، الذي أشاد بالانجازات التي تحققت في سوريا والدور الايجابي للحكومة السورية، التي نفذت قرار السماح للمفتشين بوضع